منطلقاتهم ، فضلا عن ادعاء البعض من المزارعين بأن مبدأ « عبرنة » الحراسة ، بحد ذاته ، ينطوي على اساءة للعلاقات بين العرب واليهود . وفي المقابل ، كان الحراس ينظرون الى أنفسهم كأبناء لـ « الطبقة العاملة » ، ويعتبرون المزارعين « ملاكاً مستغلين »[٤] . وكان من نتيجة ذلك ان تعمقت الخلافات بين الطرفين ، مما حدا بالمستوطنات الجنوبية من فلسطين ومن ثم الوسطى للاستغناء عن خدمات الحراس ، واقامة حراسة ذاتية . وبقي نشاط منظمة هشومير قائما في المنطقة الشمالية من فلسطين .

أما الصعوبات التي واجهها جهاز الحراسة مع السلطات التركية فكانت أقل اثراً من تلك التي واجهها مع المزارعين اليهود . فقد تأثرت الحراسة العبرية ، عند اندلاع الحرب العالمية الأولى ، بعض الشيء بنفي السلطات التركية عدداً من زعمائها ، وتأثرت اكثر في عام ١٩١٧ حين وضعت السلطات التركية ، بمساعدة المخابرات الالمانية ، يدها على شبكة تجسس يهودية تحمل اسم « نيلي » ، تعمل لحساب المخابرات البريطانية ، حيث أخذت الشكوك تحوم حول جهاز الحراسة اليهودي[٥] . بيد ان ذلك لم يدم طويلاً لسقوط فلسطين في العام نفسه بأيدي القوات البريطانية .

وإن كانت منظمة هشومير قد نجت من بطش السلطات التركية ، بسبب عدم تيقّن الاتراك من تورطها في شبكة التجسس ، غير أنها لم تفلت من تبعات التجسس وعواقبه الوخيمة التي كانت من بين عوامل تقصير أمد حياتها ، وحلها . فقد اتضح بعد سقوط فلسطين تحت الاحتلال البريطاني أنّ عدداً من قيادة هشومير كان متورطاً بالفعل في شبكة التجسس ، ويقوم بدور حلقة الوصل بينها وبين اللجنة السياسية لليشوف اليهودي . وأنّ من بين مهامه ايضاً نقل مبالغ مالية الى اللجنة . كما تبين ان دفعات مالية ، معينة ، لم تصل الى اللجنة ، إنما بقيت في جيوب عدد من المسؤولين عن هشومير ، الأمر الذي دفع اللجنة للمطالبة باعادة الاموال اليها . ولم يكن ذلك بالمستطاع ، لادعاء زعامة هشومير بأن الاموال قد صرفت على عائلات الحراس الذين طاردتهم السلطات التركية . ولم ينته الأمر عند هذا الحد ، فقد دار جدل طويل ومضن بين الطرفين ، أساء كثيراً الى سمعة وصورة هشومير بين صفوف اليشوف ، وأدى الى قطع الاتصالات لفترة بين عدد من التكتلات السياسية العمالية ومن بينها حزب « بو عالي تسيون » وبين هشومير[٦] .

ومع ذلك فقد ساهمت منظمة هشومير ، في هذه الفترة ، في اقامة « الفيلق العبري » في فلسطين بمده بعناصر مدربة من بين صفوفها . بيد أنها ، ازاء المرحلة الجديدة وما تتطلبه من مهام مختلفة ومغايرة ، قامت بحل نفسها في حزيران ١٩٢٠ مخليةً مكانها لمنظمة أوسع وأشمل وذات مهام أكبر هي منظمة الهجناه .

الكتائب العبرية

الى جانب التطور الداخلي لليشوف اليهودي في فلسطين الذي افرز منظمة « هشومير » ، هنالك تطور خارجي ساعد ، هو الآخر ، على ادخال الروح العسكرية ، وسط الجاليات اليهودية ، لتصب في المشروع الصهيوني ، ونعني به اندلاع الحرب العالمية الاولى . فمع اندلاع